JOURNAL OF HUMANITARIAN AND APPLIED SCIENCES
ISSUE 14 – VOLUME 7
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
العدد 14 - المجلد 7
ISSN: 2706-9087

مساهمة برقة في التّصدّي للحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس 668-669 هـ/ 1269-1270م

د.إدريس مفتاح إحمودة

الجامعة الأسمرية الإسلامية

Cyrenaica's contribution to countering the Eighth Crusade on Tunisia 668-669H/1269-1270 G

Abstract:

The research dealt with the topic of Cyrenaica's contribution to countering the Eighth Crusade on Tunisia, by highlighting the importance of Cyrenaica to the Islamic West and Tunisia, geographically, politically and economically, and then trying to find out the means of support provided by Cyrenaica to Tunisia, starting from the human element, military supply, and securing the way to that goal, and the problem was concentrated in the extent to which Cyrenaica contributed to repelling the attack of the Crusaders, and to try to reach a logical conclusion, the researcher used the descriptive approach to form a general idea of the aspects of the subject, and also used the analytical approach To discover, interpret and critique ideas related to research with the aim of deriving and inferring certain logical facts.

By researching the sources, the researcher concluded that Cyrenaica had already contributed to the rescue of Tunisia during its Crusader invasion, but details of the nature of Tunisia's assistance remain unknown because there are no statistics to illustrate this, and Arab sources during the Middle Ages have almost abandoned that pattern.

Keywords: Cyrenaica,Tunisia,Tripolis,Ifriqiya,Eighth Crusade, Crusaders**.**

الملخص:

تناول البحث موضوع مساهمة برقة في التّصدّي للحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس، من خلال إبراز أهمّيّة برقة للغرب الإسلامي وتونس من النّاحية الجغرافيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، ومن ثمّ محاولة معرفة وسائل الدّعم الّتي قدّمتها برقة لتونس، بدأً من العنصر البشري، والإمداد العسكري، وتأمين الطّريق لذلك الهدف، وقد كانت الإشكاليّة تتركّز في مدى إسهام برقة لصدِّ هجوم الصّليبيين، ولمحاولة الوصول إلى نتيجة منطقيّة، استخدم الباحث المنهج الوصفي لتكوين فكرة عامة عن جوانب الموضوع، كما استخدم المنهج التّحليلي لاكتشاف الأفكار ذات العلاقة بالبحث وتفسيرها ونقدها بهدف استنباط واستنتاج بعض الحقائق المنطقيّة.

ومن خلال البحث في المصادر، توصّل الباحث إلى أنّ برقة كانت قد أسهمت بالفعل في نجدة تونس أثناء تعرّضها للغزو الصّليبي، لكنّ التّفاصيل عن طبيعة مساعدة تونس تبقى مجهولة لعدم وجود إحصاءات توضّح ذلك، والمصادر العربيّة خلال العصر الوسيط تخلو من ذلك النمط تقريبًا.

الكلمات المفتاحية: برقة، تونس، أطرابلس، إفريقيّة، الحملة الصّليبيّة الثّامنة، الصّليبيّون.

ISSN: 2706-9087

مقـــــــدمة:

تعرّضت شمال إفريقيّة إلى غارات متكرّرة من الصّليبيّين خلال العصر الوسيط، وقد تحدّثت عنها المصادر التّاريخيّة باقتضاب في بعض الأحيان، فكتب الحوليّات أو التّاريخ الحولي أشارت إلى تلك الأحداث، فضلًا عن كتب التّاريخ العام، لكنّ الحروب الصّليبيّة ارتبطت في ذهن الكثيرين بتلك الحملات السّبعة الّتي توجّهت للمشرق الإسلامي، يضاف إليها الحملة الصليبيّة الثّامنة على تونس، الّتي يذكر المؤرّخون أنّها كانت موجّهة إلى المشرق ثمّ تحوّلت وجهتها إلى تونس، وهذا الاعتقاد السّائد قد جانب الصّواب، فالحقائق التّاريخيّة تثبت أنّ الحملات الصّليبيّة في بلاد المغرب كانت قبل الحملات في بلاد المشرق.

وقد اهتمّ بعض الباحثين في الحروب الصّليبيّة بتركيز بعض بحوثهم على تاريخ الحملات الصّليبيّة في شمال إفريقيّة، وهي قليلة إذا ما قورنت بالبحوث والدّراسات الّتي اهتمّت بتاريخ الحروب الصّليبيّة على المشرق الإسلامي، ومن ضمن تلك الدّراسات كتاب (الحروب الصّليبيّة في شمال إفريقيّة وأثرها الحضاري) لمؤلّفه ممدوح حسين علي، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه، وعند مطالعتي لهذا الكتاب شدّ انتباهي نصٌّ مقتضب نقله المؤلّف المذكور عن تقيّ الدّين المقريزي يتعلّق بدور أعراب برقة في صدّ الهجوم الصّليبي على تونس، لذلك حاولت في هذا البحث أن أصل إلى القليل من المقاربة لبعض الحقائق حول هذا الموضوع؛ الّذي غفلت عنه معظم المصادر التّاريخيّة؛ بما وجدت من إشارات نادرة في القليل من المصادر.

إشكالية البحث:

بعد سقوط الدّولة الموحّديّة وقيام الدّولة الحفصيّة في تونس، شهدت بلاد المغرب حالة من الانقسام السّياسي ألقى بظلاله على المغرب الأدنى الّذي تعرّض لحملة لويس التّاسع الصّليبيّة على تونس، وبما أنّ الحفصيّين لم يكن لديهم الاستعداد للقتال؛ فإنّ الدّور الشّعبي المتمثّل في المكوّنات القبليّة من أعراب برقة وما يليها غربًا كان هو البديل لنجدة تونس، فبماذا كان إسهام برقة لصدِّ هجوم الصّليبيين؟

أهداف البحث :

- إبراز دور برقة الجهادي ضدّ الحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس.
- التّذكير بأهمّية المكوّنات القبليّة في تشكيل جبهة وحدويّة ضدّ الأطماع الخارجيّة.
- تحقيق المعرفة بجوانب مهمّة عن الحروب الصّليبيّة في شمال إفريقيّة.
- فتح آفاق الدّراسات المعمّقة لإشكاليّات جديدة.
- اكتشاف الجديد من التّاريخ الوطني في عصره الوسيط.

أهميّة البحث :

تكمن أهمّيّة البحث في محاولة اكتشاف جوانب مخفيّة؛ من تاريخ الحروب الصّليبيّة، الّتي غفلت عن ذكرها الأقلام، ولم تتنبّه إليها الأذهان، وكادت أن تذهب في طيّ النّسيان، لولا إشارات مقتضبة، تتعلّق بمجتمع برقة، الّذي كان رافدًا لنصرة إخوانهم التّونسيّين، في تصدّيهم وجهادهم ضدّ الصّليبيّن، وإنّ الدّراسة بعمق لملاحم الجهاد المقدّس دفاعًا عن العِرض والأرض والدّين، من شأنها أن تثبت مشاركة كلّ أنحاء الأقاليم في بلاد الإسلام والمسلمين.

ISSN: 2706-9087

منهج البحث :

1. استخدام المنهج الوصفي فيما يتعلّق بالمحور الأوّل، من خلال ما تضمّنته بعض المصادر في وصفها للظّواهر التّارخية المعنيّة بالبحث، وإحاطة القارئ بمعلومات مبدئيّة لتكون مدخلًا للموضوع.
2. استخدام المنهج التّحليلي فيما يتعلّق بالمحور الثّاني، لتحليل الأفكار المتعلّقة بإشكاليّة البحث، وتطبيق أسلوب التّفسير والنّقد لما ورد في المصادر؛ للوصول إلى استنباط بعض الحقائق وفق المعطيات المتاحة.

حدود البحث :

1. الحدود الموضوعيّة: مساهمة برقة في التّصدّي للحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس.
2. الحدود المكانيّة: برقة، تونس.
3. الحدود الزّمانيّة: تقتصر على سنتيْ 668-669 هـ/ 1269- 1270م.

خطة البحث:

1. مقدّمة البحث.
2. المحور الأوّل التّمهيدي: أهمّيّة برقة للغرب الإسلامي وتونس، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
   - أهميّة الموقع
   - الأهميّة السّياسيّة
   - الأهميّة الاقتصاديّة
3. المحور الثّاني: وسائل دعم برقة لتونس ضدّ الحملة الصّليبيّة الثّامنة، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
   - المدّ البشري والدفاع المشترك

– توجيه الإمدادات إلى تونس

– تأمين الطريق البريّة

4. خاتمة، ومصادر البحث، والملاحق.

1– تمهيد: أهمّيّة برقة للغرب الإسلامي وتونس

أ– أهميّة الموقع:

بالنّظر إلى ما تناولته المصادر عن موقع برقة وعلاقته بالمغرب الأدنى / إفريقيّة، فإنه يمكن القول إن برقة تعدّ ضمن القسم الأكبر من بلاد المغرب الذي مبدؤه شرقًا من ضفة النيل بالإسكندرية إلى أطرابلس غربًا؛ وذلك بحسب رأي بعض المصادر (ابن عذاري، ج1، 2013، 26)، أمّا المجال الجغرافي لمفهوم بلاد المغرب بأكمله فإنّ معظم المصادر تذكر حدّه الشرقي بداية من الإسكندية ويمتدّ غربًا إلى شواطئ المحيط الأطلسي (ابن حوقل، 1979، 64-65)، لكنّ هناك تباينا في آراء المصادر عن مفهوم إفريقية والمغرب، بل هناك من يخلط بين المفهومين، حيث إن لفظ (إفريقية) يختلط أحيانًا بمفهوم بلاد المغرب، فهذا محمّد الأندلسي ينقل عن البكري أن إفريقية تمتد من برقة شرقًا إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصا غربًا، ولم يحصر المجال الجغرافي لإفريقية في البلاد التونسية، (الأندلسي، 1287، 107)، لكنّ ياقوت الحموي قد حدّد موقع إفريقيّة

ISSN: 2706-9087

وامتدادها بين حدود أطرابلس شرقًا إلى بجاية غربًا، (ياقوت الحموي، ج1، 1977، 228)، ومهما تعدّدت وجهات النظر بين المصادر حول المجال الجغرافي لإفريقية – الّذي يشمل برقة أحيانًا، وأحيانًا أخرى يقتصر على الامتداد بين أطرابلس وبجاية كما سبقت الإشارة لذلك– فإن ذلك الاختلاف لا يقلّل من شأن أهميّة الموقع بالنّسبة لبرقة وعلاقتها بإفريقية والمغرب الإسلامي، لأن الامتداد الجغرافي بين برقة وإفريقية واحد ولا توجد حواجز طبيعية بين هذا الامتداد الذي يربط بين المشرق الإسلامي ومغربه، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنّ ما اصطلح عليه (الحدود الجغرافية) في كتب المصادر تخضع لاختلاف لآراء وصف الجغرافيّين والرّحّالة خلال العصر الوسيط؛ وليست مسألة قطعيةكما هو معروف في عصرنا الآن، حيث ظهرت حدود الدّول مع بداية العصور الحديثة من منظور الحدود السّياسية الّتي تفصل بين منطقة جغرافية معيّنة ومنطقة أخرى مجاورة لها، وتكون مساحة الدّولة داخل تلك الحدود تحت سيادة الدّولة المعنيّة، ووفق معاهدات واتّفاقيّات دوليّة، وخرائط تحدّد حدود الدّول ومجالاتها البريّة والبحريّة.

ولا أريد في هذا الصّدد سبر غور الآراء الّتي تحدثت عن موضوع مواقع البلدان وحدودها، حتى لا أخرج عن إطار البحث وموضوعه، لأن هدفي من هذا العرض هو بيان أهمّيّة موقع برقة لعلاقته بإشكالية البحث، وللخروج من مناقشة الموضوع أقول إن التّقسيم الّذي شاع بين الجغرافيّين والمؤرّخين لبلاد المغرب يشتمل على الآتي:

- **المغرب الأدنى**: ومبدؤه من غرب الإسكندرية شرقًا؛ إلى بجاية غربًا، وهذه الأخيرة هي مدينة ساحليّة تقع شرق الجزائر بالقرب من الحدود التّونسيّة.
- **المغرب الأوسط**: ومبدؤه من بجاية شرقًا؛ إلى وادي ملويّة؛ الّذي يقع في شمال المغرب الأقصى غربًا.
- **المغرب الأقصى**: ومبدؤه من وادي ملويّة شرقًا؛ إلى المحيط الأطلسي غربًا.

وبما أنّ المغرب الأدنى هو القسم الأكبر من أقسام بلاد المغرب كما سبقت الإشارة إليه، فقد اصطلح البعض تقسيمه إلى أربعة أقاليم هي: برقة، وأطرابلس، وتونس، وشرق الجزائر، (دبّوز، ج1، 2010، 12) وهو تقسيم اصطلاحي فيما يبدو؛ أوجبته ضرورات سياسيّة وإداريّة في حينها حسب أحوال الدّول الإسلاميّة الّتي تعاقبت على حكم بلاد المغرب خلال العصر الوسيط؛ وبُعد عواصمها أو قربها من المغرب الإسلامي أو مشرقه، لذلك، من غير المستغرب أن تكون تلك التقسيمات متغيّرة ما بين فترة زمنية وأخرى، لكن من الثّابت أنّ المغرب الإسلامي وحدة متماسكة في مختلف النّواحي الجغرافيّة والبشريّة والثّقافية والحضاريّة والاجتماعيّة، ولا يمكن تجزأته من هذا الجانب، (مؤنس، 2000، 24)، فكل قسم أو إقليم من بلاد المغرب كان عامل تأثير وتأثّر بالأقسام أو الأقاليم الأخرى، وينسحب هذا التّصوّر على إقليم برقة ومحيطه الجغرافي، من مناطق المغرب الإسلامي أو مشرقه، لأنّه حلقة وصل بين الجناح الشّرقي والغربي للدّولة الإسلاميّة خلال عصورها الوسيطة.

ب– الأهميّة السّياسيّة:

إن جذور الأهميّة السّياسيّة لبرقة خلال العصر الوسيط مرتبط بالمجال الجغرافي والبشري الّذي كان له تأثيره المباشر على إفريقية / تونس، فمنذ أن بدأت طلائع الفتح الإسلامي تنتشر في برقة وإقرار الأخيرة بالإسلام في الربع الأول من القرن الأول للهجرة، تحوّلت إثر ذلك إلى معبرٍ لعمليات الفتح في إفريقية؛ قبل بناء مدينة القيروان واتخاذها فيما بعد قاعدة متقدمة لمواصلة الفتوح الإسلاميّة لبلاد المغرب الإسلامي، فالمجال الجغرافي الواسع الذي يربط بين برقة وإفريقية ومنها إلى كافة أنحاء

ISSN: 2706-9087

بلاد المغرب لم تفصله عوائق طبيعية تحدّ من حركة الفاتحين الأوائل، وهذا الواقع جعل سياسة الدول الإسلامية المتعاقبة تنظر بأهميّة إلى الأقاليم المكوّنة للامتداد الجغرافي المشار إليه.

وعند قيام الدّولة الفاطميّة بإفريقيّة عام 297هـ/ 909م على أنقاض دولة الأغالبة (العبادي، د.ت، 230)؛ سعى الفاطميون إلى مدّ نفوذهم شرقاً إلى برقة، ومنها إلى القاهرة، في إطار المنافسة السّياسيّة على منصب الخلافة الإسلاميّة، وهذا الطّموح الفاطمي أثار حفيظة الخلافة العبّاسية رغم ضعفها آنئذ وانفصال بعض الأقاليم عن عاصمتها بغداد، وأصبحت دويلات مستقلّة، لكنّ ذلك لم يثن العبّاسيّين عن محاولاتهم في صدّ المشروع الفاطمي الّذي كان هدفه الوصول إلى بغداد (حسن، 1932، 81)؛ لأنّ الفاطميّين الّذين انطلقوا من إفريقيّة / تونس كانوا قد تقدّموا بجيوشهم شرقًا وشرعوا في ضمّ مناطق تحت نفوذهم شملت كلاً من: سرت، وأجدابية، وبرقة (ابن عذاري، ج1، 2013، 235-236)، وفي غضون ذلك تقدّمت جيوش الفاطميين لمحاولة بسط نفوذهم على مصر، حيث قاموا بحملتين عسكريّتين، ولكن إمدادات العبّاسيين لمصر حالت دون تحقيق هدف الفاطميّين في تلك المحاولة، وقد مُني الجيش الفاطمي بالهزيمة سنة 303هـ/915م (ابن عذاري، ج1، 2013، 235-236).

بعد تراجع الفاطميين إلى برقة إثر هزيمتهم على تخوم مصر، ركّزت سياستهم بعد ذلك على الاحتفاظ ببرقة، لتكون قاعدة متقدّمة لحملتهم التّوسعيّة في المشرق الإسلامي، وكانت مدينة المهديّة التّونسية هي مركز الخلافة قبل انتقالها إلى القاهرة فيما بعد، لكنّ تلك السّياسة واجهت رفضاً من سكّان برقة؛ وصل إلى حدّ قتل جنود الحامية الفاطميّة وقائدها، إلاّ أنّ ذلك الحدث لم يمنع الفاطميّين من إرسال حملة جديدة يقودها ابن مدين اللّهيصي، حيث قام هذا الأخير باستعمال سلاح الحصار لمدينة برقة / المرج لمدّة ثمانية عشر شهرًا حتّى سقطت في يده، سنة 304هـ/916م وظلّت برقة ولاية فاطمية تابعة لمركز الخلافة في المهدية بتونس، وبقي ابن مدين اللّهيصي واليًا عليها حتى وفاته سنة 306هـ/918م (ابن عذاري، ج1، 2013، 239).

وفي فترة لاحقة، خلال عهد المعزّ لدين الله الفاطمي(341-365هـ/952-975م)، كانت الخلافة الفاطميّة قد واجهت بعض الصّعوبات في المغرب الأدنى، خصوصًا بعد انتقال مقرّ الخلافة إلى القاهرة، حيث كان الوالي الفاطمي أمام مشكلة ثورة برقة الّتي ظهرت في قبيلة بني قرّة العربيّة وقبائل البربر، فأشهرت تلك القبائل العصيان ضدّ التّواجد الفاطمي، لكنّ الوالي تمكّن من التّغلّب على تلك الثّورة وتم قمعها (عماد الدين، 1985، 671)، ولكن تجدّد ذلك الرّفض الشّعبي لسيطرة الفاطميّين على برقة مرّة أخرى في عهد الوالي الفاطمي يانس الصقلّي سنة 388هـ/998م، وكان يتطلّع أيضاً لضمّ أطرابلس، ومع أنّ مصيره كان القتل على يد الثّائرين؛ إلّا أنّ الخليفة الفاطمي أصرّ على إرسال حملة جديدة لتحقيق ذلك الهدف، وفي هذه المرّة أراد أن يجبر قبيلة بني قرّة على المسير مع تلك الحملة لأطرابلس فرفض بنو قرّة ذلك (ابن عذاري، ج1، 2013، 268).

تجدر الإشارة إلى أنّ قواسم الوحدة القبليّة والانتماء الفكري والمصير الواحد لسكّان المغرب الأدنى وعموم بلاد المغرب الإسلامي؛ كانت عوامل قوّة خلال العصر الوسيط، فالثّورات المتكرّرة ضدّ الفاطميّين في برقة قد استنزفت قوّتهم وقدراتهم، وهدّدت وجودهم في المنطقة؛ خصوصًا ثورة الوليد بن هشام، الّذي ادّعى أنّه من بني أميّة، وكان يلقّب بأبي ركوة، فاكتسب

ISSN: 2706-9087

تأييدًا من الأوساط الاجتماعيّة العامّة، حتّى تمكّن من القيام بتلك الثّورة عام 396-397هـ/1006-1007م، وكان من نتائجها انفصال برقة عن الخلافة الفاطميّة فترة من الزّمن، والدّليل على ذلك هو قطع الخطبة للفاطميين على المنابر، وقيام أبي ركوة بسكّ النّقود والدّنانير الّتي تحمل ألقابه (ابن خلدون، ج4، 1971، 58)، وقد ازدادت مكانة أبي ركوة بعد أن تحصّل على المزيد من التّأييد والبيعة والولاء من قبائل العرب والبربر، فشجّعه ذلك التّأييد والبيعة على أن يقوم بطرد ما تبقّى من الفاطميين في برقة، فقام بمحاصرة والي برقة الفاطمي صندل الأسود، الذي اضطرّ أن يغادر الولاية مع حاميته متوجّهًا إلى القاهرة، ولم يستطع أن يصمد أمام جيش أبي ركوة، وهكذا انهزم جيش صندل الأسود الّذي يعدّ أوّل جيش فاطمي هزمه أبو ركوة (المقريزي، ج1997،2، 60-61)، وقد تكرّر الصّراع بين الفاطميّين وأبي ركوة حتّى وفاة الأخير.

وفي العهد الأيّوبي؛ تطلّع الأيّوبيّون إلى ضمّ برقة تحت نفوذهم، ولعلّ ذلك كان ضمن سياسة توحيد الجبهة الإسلاميّة ضدّ الغزو الصّليبي وحملاته المتكرّرة على المشرق الإسلامي، لتكون وحدة متماسكة تمتدّ من برقة غربًا وتتّجه إلى مصر وبلاد الشّام؛ ثمّ إلى الموصل في العراق شرقًا، وفي هذا الإطار يبرز دور برقة ولو بشكل غير مباشر؛ في فصل من فصول مواجهة الحركة الصّليبية الّتي قادها صلاح الدّين الأيّوبي في تلك المرحلة، ولتنفيذ سياسة الأيّوبيّين لجعل برقة تحت نفوذهم، توجّهت حملة بقيادة شرف الدّين قراقوش إليها عام 568هـ/ 1172م (أبوشامة،ج1997،267،2)، الّذي وجد مساندة من السّكّان فيما يبدو، فازداد طموحه للتّوسّع غربًا نحو أطرابلس وبعض مناطق من إفريقية، ماعدا المهدية، وصفاقس، وقفصة، وتونس، لكنّ سياسة التّوسع غربًا لم يكتب لها النّجاح لأنّ قراقوش كان قد اصطدم بتواجد الموحّدين، فتراجع إلى ودّان، الّتي لم يحسن السّيرة فيها، فقُتل مع ولده؛ وانتهى أمره (ابن غلبون، 1349، 64).

نستخلص ممّا تقدّم أنّ اعتماد برقة على قدراتها الذّاتيّة، ومكوّناتها القبليّة المتماسكة، كانت عوامل وحدة مهمّة؛ مكّنتها أن تكون قوّة ضاربة في خضمّ الصّراعات الّتي عصفت بالمغرب الأدنى، كما أنّها حظيت بمكانة في الحفاظ على المغرب الأدنى من القوى الخارجيّة الطامعة إلى حدٍّ كبير، وربما تهيّأت الأسباب لبرقة للقيام بذلك الدّور، خصوصًا أنّ مكوّناتها الاجتماعيّة كانت قد توحّدت تحت نفوذ قبيلة بني قرّة ومن ساندها من البربر إلى بداية هجرة بني هلال إلى إفريقيّة، فانتهز الأيّوبيّون الفرصة لجعل برقة تحت نفوذهم فترة من الزمن، أمّا في فترة الحروب الصليبيّة في شمال إفريقيّة وما تلاها من حروب صليبية أخرى في المشرق الإسلامي، فإنّ المصادر لم تفصح لنا عن دور برقة في تلك المرحلة؛ إلا الإشارة المقتضبة المتعلّقة بالحملة الصليبيّة الثّامنة على تونس؛ والّتي سأتحدّث عنها فيما بعد.

ج- الأهميّة الاقتصاديّة:

إنّ موقع برقة الجغرافي اكتسب أهميّته الاقتصادية منذ العصور القديمة، وخلال العصر الوسيط ارتبطت برقة بعلاقات تجاريّة مع بلاد المغرب، فكانت حلقة وصل بين المشارقة والمغاربة، وكانت الطرق البريّة الّتي تسلكها القوافل التّجارية قد تركّزت بشكل كبير على المناطق السّاحليّة، وهذا لا يعني انعدام الطرق التّجاريّة الصّحراوية، لكنّ المناطق السّاحلية تتميّز بالمدن الواقعة على ذلك السّاحل الطّويل الّذي يربط بين برقة وتونس، فضلا عن الموانئ التّجاريّة المرتبطة بأغلب تلك المدن، وتعدّ برقة أوّل محطّة تجاريّة تقع في طريق القوافل للقادمين من مصر إلى بلاد المغرب؛ والّذي يسمّى طريق الجادّة أو الطّريق الأعظم (ابن عبد الحكم، 1964، 53)، وهناك طرقًا فرعيّة أخرى ربطت مدن ساحل إفريقيّة بمدن الدّواخل الصّحراويّة مثل ودّان، وزويلة،

ISSN: 2706-9087

ومرزق، فضلاً عن الأرياف، ما جعل التّبادل السّلعي بين هذا المجال الجغرافي يكتسب صفة التّكامل بين مختلف المدن والأرياف، ويكفي أن أشير هنا إلى طريق القوافل التّجاريّة الّتي كانت تخرج من بلاد الجريد في الجنوب التّونسي؛ وتتّجه بعد ذلك إلى السّاحل؛ لتمضي في طريقها إلى بلاد الحجاز عبر برقة (الشماخي، د.ت، 455)، ويُفهم من ذلك أنّ الطّرق التّجاريّة بين إفريقية وبرقة تعدّ شريانًا اقتصادًيا مهمًّا في بلاد المغرب الإسلامي، فضلاً عن الصّادرات الزّراعية الّتي تميّزت بها برقة، والّتي ربمّا لم تتأثر كثيرًا بالمجاعات الشّديدة الّتي تعرّضت لها إفريقيّة سنة 425هـ/1033م (ابن عذاري، ج1، 2013، 275)، ولكنّ تراجع نشاط الحركة التّجارية في بعض الأحيان كان رهين الأحوال السّياسيّة والاضرابات الّتي تعرّضت لها برقة، كما أنّ حالات الجفاف وقلّة الأمطار أثّر بشكل مباشر على المحاصيل الزّراعيّة الّتي ترتبط بشكل مباشر في المبادلات التّجاريّة بين برقة ومصر (أبو الفدا، 1830، 128).

ويبدو أنّ ما امتازت به برقة من الإنتاج الوفير في المحاصيل الزّراعية، فضلاً عن الثّروة الحيوانيّة، كان عاملاً من عوامل أطماع الفاطميّين ومدّ نفوذهم من إفريقيّة / تونس إلى برقة؛ وذلك بُغية احتكار تلك الثّروات لصالحها (الإصطخري،2004، 33)، لكنّ السّلطان المملوكي الظّاهر بيبرس الّذي استعاد السّيطرة على برقة من الفاطميّين كان قد أبدى اهتمامًا بمواردها الاقتصاديّة، لتدعيم أركان دولته بتلك الموارد، ولم يغفل عن أهميّة تلك الثّروات الّتي ستؤول وارداتها الماليّة إلى خزائن دولته، لذلك عيّن عليها واليه عطاء الله بن عزّاز، ليدير شؤونها، ويشرف على جباية الزّكاة منها (المقريزي، ج2، 1997، 13)، ويُستشفّ من ذلك أنّ الإنتاج الزّراعي المتنوّع الّذي أشارت إليه المصادر، فضلاً عن المراعي الخصبة الّتي وفّرت أعدادًا كبيرة من الأغنام والماشية، قد أتاحت الفرصة لمورد اقتصادي آخر، تمثّل في صناعة الملبوسات القائمة على نسيج الصّوف وربمّا الصّناعات الجلديّة كذلك، ليقوم التّجار بتصديرها (ابن سباهي، 2006، 206)، ورغم أنّ وجهة تصدير تلك المنتجات كان إلى مصر لاعتبارين اثنين أولهما: كونها الأقرب إلى برقة؛ وبالتّالي فإنّ كُلفة الرّحلة التّجارية ومشاقّها كان أقلّ من وجهة أخرى بعيدة، أمّا الاعتبار الثّاني فإنّ برقة كانت ولاية تابعة لمصر في العهد المملوكي، ومع ذلك لا يمكن استبعاد العلاقات التّجارية مع إفريقية / تونس.

من جانب آخر، جدير بالذّكر أنّ الموانئ البحريّة لبرقة كانت تعجّ بالنّشاط التّجاري البحري للصّادرات والواردات، ولأهمية التّجارة البحريّة كانت كل مدينة تقع على ساحل برقة يوجد بها ميناء بحري (ابن عبد الظاهر، 1979، 415)، ويصف الإدريسي بإعجاب – في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – حركة المراكب التّجارية الّتي لا تنقطع عن موانئ برقة بالصّادر والوارد إليها بمختلف أصناف البضائع، كما أشار إلى جودة السّلع الصّادرة من تلك الموانئ (الإدريسي، 2002، 310-311)، وهو ما يؤكّد حقيقة الأهميّة الاقتصاديّة لبرقة خلال تلك الفترة من العصر الوسيط.

2– وسائل دعم برقة لتونس ضدّ الحملة الصليبيّة الثّامنة

أ– المدّ البشري والدّفاع المشترك:

إنّ انتشار قبائل العرب والبربر في المغرب الأدنى– الّذي يعدّ أكبر أقسام بلاد المغرب بحسب بعض الآراء كما تمّت الإشارة إلى ذلك، والّذي يتضمّن إقليم برقة، وأطرابلس، وتونس، فضلاً عن شرق الجزائر– جعل من التّواجد السّكّاني

ISSN: 2706-9087

المتجانس من النّاحية العرقيّة والدّينيّة والثّقافية كتلة واحدة تربطها تلك العلاقات الاجتماعيّة المتجذّرة، فقبائل لواتة وزناتة وهوّارة وما تفرّع منها من بطون أخرى لا تحصى من كثرتها (ابن خلدون، ج6، 1971، 103) فضلاً عن القبائل العربيّة – الّتي ازداد عددها بشكل ملحوظ بعد الهجرة الهلاليّة في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي – اكتسب وجودها أهميّة على امتداد هذا الإقليم في الدّفاع عنه من الأخطار الخارجيّة، الّتي تمثّلت في الحملات الصليبيّة المتكرّرة على شمال إفريقيّة، وكانت تلك الحملات قد ابتدأت في الغرب الإسلامي قبل مشرقه، فعلى سبيل المثال قامت جنوة وبيزا بحملة عسكرية على المهديّة سنة 480هـ/1050م (التجاني، 1981، 331)، ثم أعاد الكرة بعدهم نورمان صقليّة على المدينة نفسها سنة 517هـ/1087م (ابن الأثير: ج9، 2003، 222)، فهبّ العرب والبربر للدّفاع عن المهديّة.

وهنا لا يمكن تحديد المكان الّذي انطلقت منه تلك القوّة الدّفاعيّة الّتي قامت بمجابهة الصّليبيّين الغزاة بشكل دقيق، لأنّ المصادر قد أغفلت ذلك، ثمّ إنّ المجال الجغرافي الّذي يقطنه العرب والبربر مجال واسع يمتد شرقًا إلى برقة، وهو نفس المجال الّذي انطلقت منه زحوف الفاتحين الّذين شاركوا في فتح الأندلس نهاية القرن الأول الهجري، ويسري على هذا الحدث ما يسري على غيره من عدم اهتمام مصادر التّاريخ وكتب الفتوح والبلدان الّتي لم تمدّنا بتفاصيل دقيقة عن الانتماءات المكانيّة الّتي خرجت منها تلك الجيوش، لكنها أشارت إلى مكوّناتها القبلية، وفي تقديري أنّه من غير المستبعد قدوم قوّة مسلّحة من شرقي إفريقية كإقليم برقة لنصرة إخوانهم في التصدّي للحملات الصّليبيّة المتكرّرة على شمال إفريقية (حسين، 1998، 191-219) ورغم صمت المصادر عن ذلك، فإن الإشارة إلى جهود أعراب برقة من العرب والبربر في مساندة أهل تونس ضدّ الحملة الصّليبيّة الثّامنة تدعم فرضية ما أشرت إليه قبل قليل.

إنّ مصادر المعلومات القليلة جدًّا؛ الّتي تحدّثت عن دور برقة في صدّ هجوم الحملة الثّامنة على تونس جاءت في سياق الحديث عن تلك الحملة، ورغم الإشارات النّادرة عن برقة، فلم ترد فيما أعلم إلاّ في ثلاثة من المصادر، أوّلها: النّص الّذي ورد في كتاب الرّوض الزّاهر في سيرة الملك الظاهر، لمحي الدين بن عبد الظاهر(620-692هـ/ 1223-1292م)، وقد عاصر المؤلف ذلك الحدث (انظر الملحق1)، ثانيها: نصٌ ورد في كتاب ذيل مرآة الزّمان، لقطب الدّين موسى اليونيني (انظر الملحق2)، وثالثها: نصٌ ورد في كتاب السّلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي االدّين المقريزي، (انظر الملحق3)، وقد أثبتت هذه المصادر في تقديري حقيقة المجال المتجانس بقبائله المنتشرة، ووحدة مصيره المشترك في الدّفاع عنه من الأخطار الخارجيّة، ولئن أُهملت هذه المسألة من حيث التّفاصيل في المصادر لما تعرّض له المغرب الأدنى وبلاد المغرب عمومًا عبر تاريخه الوسيط، فإن نموذج موقف برقة من الحملة الثّامنة ينسحب على بقيّة الأحداث الّتي تعرّضت لها إفريقية حسب اعتقادي.

ب- توجيه الإمدادات إلى تونس:

إنّ تفاصيل الحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس مبثوثة في عديد المصادر والمراجع والأبحاث؛ لكن ما يهمّ الباحث في هذا الحدث هو محاولة التّعرّف عن أسباب عدم قدرة تونس بالاعتماد على إمكاناتها الذّاتيّة في مواجهة تلك الحملة، حتّى تلقّت إمداداتها العسكريّة من برقة، وفي تقديري فإنّ السّبب الأوّل لذلك مردّه إلى الأحوال السّياسيّة العامّة الّتي تزامنت مع الحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس، ويكمن ذلك في سقوط دولة الموحّدين سنة 668هـ/ 1269م الّتي كانت قد وحّدت

ISSN: 2706-9087

بلاد المغرب بكامله تحت قيادتها (ابن كثير، ج17، 1998، 487)، ممّا كان له أثره المباشر على مجريات الأحداث السّياسيّة والعسكريّة، وفي تلك الأحوال يبدو أنّ الصّليبيين قد اغتنموا الفرصة لتوجيه حملتهم إلى تونس وتنفيذها.

أمّا السّبب الثّاني، فهو ظهور مشكلة الخلافة في العالم الإسلامي خصوصًا بعد سقوط بغداد سنة 656 هـ-1258م، والتّنازع بين الحفصيّين من جهة والمماليك من جهة أخرى حول الزّعامة، ففي حين تلقّب أبو عبد الله محمّد الحفصي بـ (المستنصر بالله أمير المؤمنين)، وبالرّغم من وصول بيعة أهل الحجاز وأهل فاس للمستنصر الحفصي، (ابن أبي دينار، 1993، 158) فإنّ الظاهر بيبرس، لم يرض عن سلوك المستنصر الحفصي بشأن إضفاء شرعية الخلافة لنفسه لتكون بديلة عن الخلافة العبّاسية، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن لقب الخلافة لم يكن إلاّ شكليًّا في الواقع؛ لأنّه كان لا يخاطب به إلّا في تونس وحدها (أبو الفدا، ج3، د.ت ،227).

وفي خضمّ الصّراع على منصب الخلافة وتداعياته، وتوتّر العلاقات بين المستنصر الحفصي والظّاهر بيبرس، وظهور الخطر الصليبي على تونس، كان الأخير – فيما يبدو– قد دفعه وازع الجهاد والدّفاع عن كيان الدّولة الإسلاميّة في جناحها الغربي، فقرر الوقوف إلى جانب المستنصر الحفصي بدون أن يطلب الأخير إليه ذلك؛ لأنّ الظّاهر بيبرس ربمّا كان يدرك أنّ المستنصر الحفصي لم يهتمّ ببناء قوّة عسكريّة تحفظ كيان دولته، وبالتّالي ليس لديه القوّة الكافية لمواجهة حشود الصّليبيّين على شواطئ تونس، وهذا الضّعف في القدرات الدّفاعية لم يعوّضه إلاّ المكونات القبلية المتطوّعة، وبما أنّ الهجوم الخارجي على تونس خطر يهدّد كيان المسلمين في المشرق والمغرب باعتباره عدوّ مشترك، فقد بادر الظاهر بيبرس بإرسال رسالة إلى المستنصر الحفصي يخبره فيها بوصول الإمدادات العسكريّة إليه لنجدته، كما كتب إلى الجموع القبلية الواقعة غرب مصر وإقليم برقة من العرب والبربر بأن يسهموا في نجدة أهل تونس (ابن عبد الظاهر، 1976، 373-.374)، ومن الطّبيعي أن تكون نجدة أهل برقة لتونس كانت مجهّزة بما يلزم من الأسلحة والإبل المحمّلة بالمؤن الكافية للمعركة ضدّ الصّليبيّين.

ويبدو أنّ المستنصر الحفصي كان قد امتلك القوّة الكافية لردع الصّليبيّين بعدما وصلت إليه الإمدادات العسكريّة من برقة، وقد أظهر قوّته عندما نزل الصّليبيّون إلى شواطئ تونس، وبعثوا إليه يطلبونه للمبارزة، فامتنع عنهم وخاطبهم بأنهم ليس فيهم ملك متوّج يكون ندًّا له حتّى يبارزه، وقد أراد من ذلك أن يحطّ من قدرهم ويغيظهم بهذا التّصرف من منطلق القوّة، عندئذ أطلق عليهم جموع من العربان والبربر والعوام لقتالهم، وليس فيهم أحد من الجند، وهذا يعني أنّ المستنصر الحفصي ليس لديه من جنده ما يكفي لمواجهة الحملة الصليبيّة، فاعتمد بشكل كلّي على المتطوّعين من قبائل العرب والبربر القاطنين بإفريقيّة والقادمين من برقة، وكان بأسهم شديد في القتال ضدّ الصليبيّين، الّذين أصابهم الذّعر والخوف ممّا أصابهم، فانهزموا في تلك الحملة، وانتصر المقاتلون المسلمون، وغنموا مائتي فرس، وقتلوا من قادة الصليبيّين ابن ريدافرنس، وصاحب نابرة، وابن صاحب قشتالة ابن الفنش (اليونيني، م454،2-456)، وفي تقديري أنّ نجدة أعراب برقة الّتي وصلت إلى تونس حينئذ كانت من أبرز أسباب التّفوّق في ميزان القوى بين المسلمين والصّليبيّين، وهو ما نتج عنه تحقيق النّصر وفشل الحملة الصليبيّة على تونس.

ISSN: 2706-9087

ج- تأمين الطّريق البريّة:

من المؤكّد أنّ الطّريق من برقة إلى تونس شاقٌّ وطويل، وتكمن خطورة عبوره بشكل كبير وقت الأزمات والحروب، فضلاً عن الوقت الّذي تستغرقه القوافل في التّنقّل من مكان إلى آخر عبر مراحل، وهناك مسألة تتعلّق بتعدّد مسالك طرق القوافل لجهة واحدة، فأحد كتب المصادر بيّنت أنّ الطّريق بين برقة ومدينة أجدابية خلال العصر الوسيط يأخذ مسلكيْن، قد يكون أحدهما يقارب شاطئ البحر أو بمحاذاته والآخر يبتعد عنه إلى الدّاخل، ثمّ يلتقيان في مدينة سلوق؛ ليشكّلا طريقًا واحدة تصل إلى أجدابية، ثمّ يفترق الطّريق مرة أخرى إلى مسلكين أحدهما إلى تونس والآخر إلى أطرابلس (ابن جعفر، 1981، 122-123)، ويسري على هذين المسلكين في اعتقادي ما يسري على غيرهما من حيث قرب أحدهما من السّاحل والآخر يبتعد عنه إلى الداخل، إلّا أنّه لا يمكن تحديد تلك الطّريق الّتي خُصّصت فيما يبدو لمن أراد التّوجّه إلى تونس من حيث قربها من السّاحل أو بُعدها عنه لتصوّر المناطق الّتي تعبر منها القوافل القادمة من برقة ومحطّاتها الرّئيسة الّتي تؤمّنها.

إنّ تأمين الطّريق البريّة لوصول الإمدادات من المقاتلين من برقة إلى تونس، يبدو أنّه استغرق وقتًا وجهدًا كبيريْن، فالمسافة الواقعة غربي برقة حتّى أطرابلس، تفتقر إلى المياه، وإن وُجدت في بعض المناطق فهي قليلة، وتعتمد بعض القبائل القاطنة في تجمّعات سكّانيّة على تجميع مياه الأمطار وتخزينها في المواجل/ الصهاريج لتوفير حاجتهم من الماء (الإدريسي، م1، 2002، 311)، وإنّ قلّة الآبار على تلك الطريق الطّويلة كما يبدو، جعل السّلطان المملوكي الظّاهر بيبرس يدرك أهميّة هذا الأمر الّذي يتعلّق بتأمين حاجة الجيش من الماء حتّى لا يهلكهم العطش؛ لذلك كتب إلى عربان برقة ومن يليهم غربًا من العرب والبربر أن يقوموا بحفر الآبار في الطرقات الّتي ستمرّ منها تلك الحشود العسكريّة القاصدين وجهتهم إلى تونس لقتال الصّليبيّين (المقريزي، ج2، 1997، 69)، لكنّ الطّريق الّذي يربط بين تونس وبرقة عُرف في العصر الوسيط بطريق التّجارة الرّابط بين الشّرق والغرب فضلاً عن كونه طريق قوافل الحجّ إلى بيت الله الحرام، فمن المفترض أن تكون مصادر المياه من الآبار متوفرة في هذا الطريق، وإذا كانت موجودة بالفعل فكيف يأمر الظّاهر بيبرس بحفر آبار؟.

في تقديري الخاص أنّ الطّريق بين برقة وتونس لا يخلوا من مصادر المياه سواء كانت آبارًا أو مواجل؛ لكنّها ليست كثيرة فيما يبدو، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ القوافل المتّجهة من تونس أو حتى من أقصى بلاد المغرب نحو المشرق مرورًا ببرقة ومنها إلى مصر أو الحجاز تكون غالبًا قوافل صغيرة قليلة العدد، وبالتّالي فإنّ القليل من الماء في كلّ مرحلة تكفي مثل تلك القوافل، أمّا الحشود الكبيرة من العساكر الّتي انطلقت من برقة وترافقت مع بعضها من نفس المكان وفي نفس الوقت، فلابد من تدبير مصادر مياه شربهم؛ لذلك جاء الأمر إلى الأعراب بحفر الآبار كما أشرت إلى ذلك، وهناك احتمال أن تكون تلك الآبار على طريق غير الطريق المحاذية للسّواحل لتأمين حركة الجيش، خصوصًا وأنّ الصّليبيّين كانت لهم الأساطيل البحرية الّتي تجوب البحار والسّواحل، ومع وجود العديد من المحطّات البحريّة على طول السّاحل الممتدّ بين برقة وتونس فإن احتماليّة استخدامها من طرف الصّليبيّين للنّزول إلى البرّ أمر وارد إذا ما شعروا بحركة الجيش نحو تونس لمنعهم من الوصول إليها.

وغنيٌّ عن البيان أنّ تأمين الطريق البريّة بين برقة وتونس لم يقتصر على حفر الآبار فحسب، ولكن يصاحب ذلك تأمين الأغذية والأمكنة الّتي يقيم فيها الجيش وقوافله إقامة مؤقّتة لمواصلة المسير غربًا إلى تونس، ولا بدّ أن يقوم عدد من

ISSN: 2706-9087

الجيش بمهمّة الاستطلاع، الّذين يقومون بدورهم في اكتشاف المخاطر الّتي قد يتعرّض لها مسير الجيش، وعن طريق الإخباريّين يتحسّسون أخبار الطريق من ناحية كونها آمنة للمسير أو غير آمنة، وهذه الأحوال من المسلّمات عند تحرّك الجيوش لملاقاة العدوّ كما أوردتها المصادر والمراجع عند تناولها للسّياسة الحربيّة عند المسلمين منذ العصر النّبوي (النبراوي، 2012، 349).

الخاتمــة:

من خلال ما تمّ عرضه تحت مجهر البحث ومقتضياته، يتبيّن أنّ هناك قصورًا في المصادر إلى حدٍّ كبير فيما يخصّ معالجة إشكاليّة الدّراسة؛ لكنّ تحليل تلك النّتف والإشارات القليلة التي وردت في طيّ البحث أثبتت أنّ أعراب برقة كان لهم دور في التّصدّي للحملة الصّليبيّة الثّامنة على تونس، ولم أجد من المعطيات الّتي يمكن أن تحدّد طبيعة مساهمة أعراب برقة لنجدة أهل تونس، فالمصادر لم تأت على ذكر عدد المحاربين الّذين قدموا من برقة إلى تونس، أو أنواع السّلاح، أو عدد الخيول – إن وجدت–، ولم توضّح المصادر أيضًا رؤساء أو قادة المحاربيين البرقاويين، وبالتّالي فإنّ الإشكالية لا تزال قائمة، والسّبب هو افتقار المصادر للتّاريخ الكمّي/ الإحصائي خلال العصر الوسيط.

وهناك ملحوظة جديرة بالاهتمام في تقديري، وهي أنّ المصادر الّتي أشارت إلى الموضوع باقتضاب شديد هي مصادر مشرقيّة، وانحصرت في ثلاثة من المؤلّفين هم: محي الدّين بن عبد الظاهر(ت 692هـ)، وقطب الدّين موسى اليونيني (ت726هـ)، وتقيّ الدّين المقريزي (ت845هـ)، ولم أعثر على أيّ مصدرٍ مغربيّ أشار ولو بشكل عابر إلى برقة ودورها في نجدة تونس، رغم أنّ المعركة في زمانها ومكانها كانت في تونس، فمن المفترض أن تذكر المصادر المغربيّة تفصيلاتٍ واضحة عن حدثٍ مهمّ وقع في شمال إفريقيّة، وعلى كلّ حال، فإنّ البحث في التّاريخ المجهول يبقى محاولة لاكتشاف ذلك الماضي بما توفّر من الحدّ الأدنى من المعلومات وإظهاره، ونشره، لعلّ ذلك يوقض همّة الباحثين لسدّ النّقص لما لم يُعرف من تاريخ أمّتنا في عصرها الوسيط.

فهرس المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، عزّالدّين. (2003). الكامل في التّاريخ. بيروت: دار الكتب العلميّة.
2. الإدريسي، أبو عبد الله محمد. (2002). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
3. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم. (2004). المسالك والممالك. القاهرة: الهيأة العامة لقصور الثقافة.
4. الأندلسي، محمد بن محمد. (1287). الحلل السندسية في الأخبار التونسية. تونس: مطبعة الدولة التونسية.
5. ابن جعفر، قُدامة. (1981). الخراج وصناعة الكتابة. بغداد: دار الرشيد للنّشر.
6. حسن، حسن إبراهيم. (1932). الفاطميون في مصر. القاهرة: المطبعة الأميرية.
7. حسين، ممدوح. (1998). الحروب الصليبية في إفريقية وأثرها الحضاري. عمّان: دار عمّار للنشر.
8. ابن حوقل، محمد. (1979). كتاب صورة الأرض. بيروت: دار الحياة.
9. ابن خلدون، عبد الرحمن. (1971). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ISSN: 2706-9087

10.دبّوز، محمد. (2010). تاريخ المغرب الكبير. الجزائر: مؤسسة تاوالت.
11.ابن أبي دينار، محمد. (1993). المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس. بيروت: دار المسيرة.
12.ابن سباهي، محمد بن علي. (2006). أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
13.أبوشامة، شهاب الدين. (1997). كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشروالتوزيع.
14.الشماخي، أحمد بن سعيد. (د.ت). السّير. قسنطينة.
15.العبادي، أحمد مختار. (د.ت). في التاريخ العباسي والفاطمي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
16.ابن عبد الحكم، عبد الرحمن. (1964). فتوح إفريقيّة والأندلس. بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.
17.ابن عبد الظاهر، محي الدين. (1979). الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. الرّياض: تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر.
18.ابن عذاري، أحمد بن محمد. (2013). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. تونس: دار الغرب الإسلامي.
19.عماد الدين، إدريس. (1985). تاريخ الخلفاء الفاطميين. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
20.ابن غلبون، محمد بن خليل. (1349). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار. القاهرة: المكتبة السلفية.
21.أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل. (1830). تقويم البلدان. باريس.
22.أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل. (د.ت). المختصر في أخبار البشر. القاهرة: دار المعارف.
23.ابن كثير، عماد الدّين. (1998). البداية والنّهاية. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
24.المقريزي، تقي الدين. (1997). السلوك لمعرفة دول الملوك. بيروت: دار الكتب العلمية.
25.مؤنس، حسين. (2000). معالم تاريخ المغرب والأندلس. القاهرة: دار الرشاد.
26.النبراوي، فتحية. (2012). تاريخ النظم والحضارة الإسلامية. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
27.ياقوت الحموي، شهاب الدين. (1977). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

الملاحق

ملحق (1)

ذكر نزول الفرنسيس على تونس، وموت الفرنسيس، ورحيلهم عنها

(في محرّم من هذه السنة تواردت الأخبار بأن الفرنسيس نزل على تونس، وأنّه كان نزوله على بلاد البربر، وأنه جرت ملحمة كبيرة، وورود كتاب والي الإسكندرية مضمونه ورود مركب من إقريطش، أخبر أهله أنّ فرنسيس وجموعه وقع بينهم وبين أهل تونس مصاف عظيم، واستظهر الفرنج على المغاربة، وقاربوا تونس، وكانت عدة خيالة الفرنج مقدار خمسة آلاف فارس وتركبلية وجرخية مثل ذلك، خارجًا عن رجال الشواني، وكانوا في انتظار ملك الإنكتار، فكتب السلطان إلى صاحب تونس يثبته بوصول العساكر لنجدته، وكتب إلى عربان الغرب وبلاد برقة بالتقدم لإنجادهم وحفر الآبار في طرقات العساكر، واهتم

ISSN: 2706-9087

بتجريد العساكر إلى جهة الغرب، فوصلت الأخبار بموت فرنسيس، وموت ولده، وجماعة من عسكره، واستشهاد جماعة من المسلمين، وبلغهم حفر الآبار، وعمل الفرنج عليهم خنادق، وتوجهت نجدات العرب إلى تونس، ولما وهن الفرنج بموت ملوكهم تحدّثوا في الصّلح على أنّ صاحب تونس يقوم بما غرموه، ويمدهم بنجدة، ورحلوا عن تونس في خامس صفر)

من كتاب: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ط1، محي الدين بن عبد الظاهر(620-692هـ/ 1223-1292م)، الرياض: تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، 1976، ص 373-.374

ملحق (2)
ذكر أحداث سنة 669

(... وفيها نزل الفرنج على تونس، وسبب ذلك أنّ تجّارًا منهم قصدوها، فألزموا على تجارتهم حقوقًا، فضربوا دراهم مغشوشة على سكة صاحب تونس وأخرجوها في الحقوق الموجبة عليهم، وظنّ العمّال أنّ الأمير تقدّم بضربها فأخذوها، ثمّ فحصوها فوجدوها ضربًا خارج الدار، فسأل عن أكثر الفرنج مالاً، فقيل له أهل جنوة، فأمر باستيصال أموالهم في سائر بلاده وحبسهم، فاستصرخ أهل جنوة بريدافرنس، وأمدوه بالأموال، فجمع وحشد وقصد تونس في أربعمائة ألف رجل، منها ستة وعشرون ألف فارس، ومعه من الملوك صاحب نابرة وابن الفنش، وزوجة صاحب صقلية، وعدّة مراكبهم أربعمائة مركب، فأمر صاحب تونس أن يخلى لهم الساحل ولا يقاتلهم أحد، فنزلوا في البر في ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان، وبعث صاحب تونس إلى قبائل العرب الذين في بلاده، وجمع مشايخهم وكبراء دولته من الأجناد والكتّاب ليشاورهم، فكلٌ أشار برأي، ورأت الجماعة الأندلسيون أن يفسح لهم في البرّ، فإنّ المكان الذي نزلوا به لا يتّسع لقتال، فنزلت زوجة صاحب صقلية في البرج الذي على طرف المرسى، وأخرج صاحب تونس العدد وفرقها في الجند والمطوعة، فحملوا من غير أمره، وكان معهم جماعة من الفرنج في طاعتهم، فأشاروا على من معها أن تنزل من البرج إلى البحر ويلحقوها بالمراكب لئلاّ تؤخذ، ففعلوا، ففهم الأندلسيون كلامهم، فلمّا فاتهم مقصودهم منها عادوا إلى البلد وحكموا في نسائهم وأولادهم السيف، ونهبوا أموالهم، وأمر صاحب تونس الرعية بعدم القتال، فاشتدّ طمع الفرنج، وقصدوا المعلقة، وقتلوا من أهلها سبعين رجلاً، وأخذوا منبرها، وبعثوا به إلى بلادهم، وذلك في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان، ثمّ بعثوا إلى صاحب تونس يطلبونه لمبارزتهم، فقال ليس فيكم ملك متوج حتى أخرج إليه، وإنّما الذين معكم كنود فأنا أبعث إليهم أكفاءهم، ثم اتفق في العربان وأمرهم بالاحتياط بهم، فخافت الفرنج وخندقوا على أنفسهم جميع شهر ذي الحجة، فلمّا هلّ المحرّم سنة تسع ومضت منه أيام، خرج الفرنج وقاتلوا قتالاً شديدًا، ولم يكن في المسلمين من الجند أحد، إنّما هم عربان وبربر وعوام، فاستظهر المسلمون عليهم، وأخذوا لهم فوق المائتي فرس، وقتلوا ابن ريدافرنس، وصاحب نابرة، وابن صاحب قشتالة ابن الفنش)

من كتاب: ذيل مرآة الزمان، ط2، م2، قطب الدين موسى اليونيني (ت726هـ)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1992، ص454-456.

ملحق (3)

ISSN: 2706-9087

أحداث المحرّم سنة تسع وستين وستمائة

(... وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسيس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته، وأمرهم بحفر الآبار في الطرقات برسم العساكر، وشرع في تجريد العساكر، فرد الخبر بموت الفرنسيس وابنه وجماعة من عسكره، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار، وأنّ الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر)

من كتاب: السلوك لمعرفة دول الملوك،ط1،ج2، تقي االدين المقريزي (ت845هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ص69.